نشأة علم نفس النمو وتطوره:

تعد نشأة علم نفس النمو وتطوره ذات أهمية خاصة في معرفة البدايات الأولى التي قامت عليها الدراسات الحديثة، فعلم نفس النمو نشأة مع الإنسان في أيامه الأولى فقد كان الإنسان يتذكر نفسه عندما كان طفلا، وراشدا، ويلاحظ أولاده وإخوته في مراحل تطورهم المختلفة، فالكتابات الفلسفية والتأملات الدينية كانت تشير إلى نشأة الإنسان.

وفي الفلسفة اليونانية يشير أفلاطون إلى أهمية التعلم في مرحلة الطفولة المبكرة ومدى تأثير ذلك في إعداد الفرد وتكيفه ففي كتابه الجمهورية يشير إلى وجود فروق بين الأفراد من الناحية الوراثية.

وفي القرن العشرين تطور علم نفس النمو تطورا كبيرا معتمدا على الدراسات التتبعية وسيرة الحياة ودراسة الحالات الخاصة. كما توجد في الوقت الحاضر دراسات كثيرة في مجال علم نفس النمو في كافة بلدان العالم نتيجة تطور أدوات البحث العلمي.

ويعتبر علم نفس النمو أحد أهم ميادين علم النفس، إذ يقوم بدراسة مراحل النمو التي يمر بها الكائن البشري منذ نشأته أي من الميلاد حتى الوفاة، ونهدف بهذه الدراسة إلى معرفة المظاهر والخصائص المختلفة التي لها علاقة بالعوامل المؤثرة في النمو كالعوامل الوراثية والفيسيولوجية التي تميز النمو والتي تساهم في تنمية شخصية الطفل.

ويحاول علم النفس النمو التعرف على طبيعة نمو الفرد الإنساني ومظاهر هذا النمو في كل مرحلة عمرية، ومما يمكن التوصل إليه من مبادئ وقوانين ونظريات في هذا المجال، من جميع الجوانب البدنية والعضوية، والعقلية المعرفية. كما يحاول التعرف على المشكلات في مراحل العمر المختلفة وتقديم الحلول المناسبة لها.

أذ تطور علم نفس النمو في الفترة الأخيرة منذ مطلع القرن العشرين حيث توالت الدراسات الحديثة في علم نفس النمو والمقالات العديدة في المجالات العلمية الدورية والتي تحوي آلافاً من البحوث في علم نفس النمو والتي تناولت جوانب متعددة تتعلق على الأخص بالنمو الجسمي والعقلي والانفعالي واللغوي والاجتماعي، وسيكولوجية الطفولة وسيكولوجية المراهقة.

ويعتبر البعض برير Preyer أبو علم نفس النمو. فقد نشر في ألمانيا كتاباً بعنوان عقل الطفل The Mind Of the Child سنة ١٨٨٢ تناول فيه نمو الطفل بصفه عامة ونمو الشعور والذكاء والإرادة بصفه خاصة. وفي السويد نشرت الين كي Key في مطلع هذا القرن (سنة ١٩٠٠) كتاب ذاع صيته بعنوان قرن الطفل The Chid's Centure. وفي سنة ١٩٠٩ أسس وليام هيلي Healy معهد رعاية الأطفال الجانحين في شيكاغو Chicago Juvenile Institute Psychopathic وهو يعتبر أول عيادة نفسية لتوجيه الأطفال لعلاج مشكلاتهم الانفعالية ومشكلات سوء توافقهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا أنه ومع ذلك فلا يوجد تعريف واحد يتفق عليه العلماء فمنهم من يعرفه على أنه: ذلك العلم الذي يختص بدراسة مراحل النمو التي يجتازها الفرد في حياته والخصائص السيكولوجية لكل مرحلة، والمبادئ العامة التي تصف مسيرة هذا النمو والارتقاء من مرحلة الخلق والطفولة والمراهقة والرشد وحتى الشيخوخة إلا انه لابد من عرض عدد من التعريفات التي وردت في بعض من المراجع العلمية المتخصصة ومنها:

ما تراه بيرجر (Berger, 1988) **بأن علم نفس النمو:** هو علم يعنى بدراسة كيفية تغير الإنسان عبر الزمن، أو بقائه على ما هو عليه دون تغير، إضافة إلى معرفة الأسباب التي تؤدي إلى حدوث ذلك.

كما يعرف علم نفس النمو: هو الدراسة العلمية لكافة التغيرات التي تحدث للكائن الحي بمظاهرها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والسلوكية بهدف وصفها وبيان ارتباطها مع بعضها ومع غيرها، والكشف عن القوانين والمبادئ المنظمة لها بغية تحقيق أهداف معرفية أو تطبيقية مستخدماً في ذلك المنهج العلمي.

ويشير (زهران) إلى أن موضوع علم نفس النمو: هو دراسة سلوك الأطفال والمراهقين والراشدين والشيوخ ونموهم النفسي منذ بداية وجودهم، أي منذ لحظة الإخصاب إلى الممات.

حيث ان النمو يشير الى سلسلة متتابعة ومتكاملة من التغيرات تسعى بالفرد الى اكتمال النضج واستمراره وبدء انحداره، وهو العملية التي تتضح من خلالها امكانات الفرد الكامنة وتظهر على شكل قدرات ومهارات وصفات وخصائص شخصية، وله مظهرين اساسيين هما:

1. **النمو التكويني:** ويعني به نمو الفرد في الحجم والشكل والوزن. والتكوين نتيجة لنمو طوله ووزنه وارتفاعه، فالفرد يتطور ككل في مظهره الخارجي العام، وينمو داخليا تبعا لنمو اعضاءه المختلفة.
2. **النمو الوظيفي:** ويعني به تطور الوظائف الجسمية والعقلية والاجتماعية، لتساير تطور حياة الفرد واتساع نطاق البيئة التي يعيش فيها.

كما قد وضعت عدد من الأسس العلمية لعلم نفس النمو في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين سار عليها هذا العلم النامي في أربعة مناح رئيسية هي:

1- **المنحى السلوكي:** الذي أكد السلوك الملاحظة للطفل ودور البيئة والخبرات في تعلم السلوك.

2- **المنحى الوصفي المعياري:** الذي يؤكد أن النمو يأتي من داخل الطفل ويظهر في تتابع على طول مراحل النمو المتتالية التي يمكن وصفها بالتفصيل.

3- **منحى التحليل النفسي:** الذي قدم مفهوماً جديداً عن الشخصية مبنياً على الحوافز اللاشعورية.

4- **منحى نظرية المجال:** الذي ينظر إلى الطفل النامي في علاقته مع القوى الدينامية لبيئته.

- **أهمية علم نفس النمو**

يدرس علم نفس النمو المراحل النمائية المختلفة التي يمر بها الإنسان منذ بداية تكوينه كبويضة مخصبة وحتى انتهاء حياته، فهو الدراسة العلمية التي تحدد المعايير والأسس التي تقوم عليها عملية النمو في كل مرحلة من المراحل العمرية، وبالتالي فهم الخصائص النمائية التي تتميز بها كل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرحلة عن الأخرى، وطرق استخدام المقاييس العلمية لتحليل هذه الخصائص،

فبرزت أهمية علم نفس النمو في الجوانب الآتية:

1. يعين علماء النفس والمختصين في الدراسة والعلاج والتوجيه النفسي والتربوي في المراحل المختلفة.
2. يعين المعلمين في فهم خصائص كل مرحلة من مراحل النمو والعوامل التي تؤثر فيها وكذلك يفيد المعلم في كيفية التعامل السليم مع التلاميذ.
3. يعين الاباء في فهم خصائص مراحل النمو المختلفة ويعاونهم في مجالات التربية والتنشئة فيمكنهم أن يفرقوا في معاملتهم لأبنائهم المراهقين والأطفال، ويتيح للأباء فهم قدرات وامكانيات الابناء الجسمية والعقلية فيعاملونهم وفق هذه القدرات.
4. يعين الافراد انفسهم على فهم مراحل نموهم وطبيعة كل مرحلة يعيشها الفرد.
5. انه يساهم في تحديد افضل العوامل الوراثية والبيئية التي تحقق للأفراد نمواً سليماً وتحقق للمجتمع التقدم والازدهار.
6. يساعد على دراسة المشكلات الاجتماعية الوثيقة الصلة بنمو الافراد مثل مشكلات الضعف العقلي والتأخر الدراسي والانحرافات السلوكية والعمل على الوقاية منها وايجاد العلاج لها.
7. دراسة نمو الافراد وشخصياتهم وتوافقهم الاجتماعي بما يحقق لهم صحة نفسية كمواطنين صالحين لمجتمعهم.
8. التخطيط لكل مرحلة من مراحل النمو في المناهج العلمية خلال المراحل الدراسية المختلفة وفي مجالات التربية الاجتماعية والتربية الرياضية واوقات الفراغ وغيرها.

- **أهداف علم نفس النمو**

عند الحديث عن أهداف علم نفس النمو، فإنه لا يمكن إغفال الأهداف المشتركة للعلوم بعامة، حيث تتضمن تلك الأهداف الفهم ثم التنبؤ ثم الضبط والتحكم. وكما هو معلوم فإن لكل علم أهدافه الخاصة به، وعند تناولنا أهداف علم النفس النمو فيمكن تحديد أهداف دراستنا لهذا العلم في الآتي:

1. الكشف عن التغييرات الحادثة في جميع جوانب الحياة، والتي تتصل بجوانب أو أبعاد النمو الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية وعبر مراحل النمو المختلفة من مرحلة على أخرى.
2. تحديد أو معرفة أوقات حدوث تلك التغيرات في حالة توفر الظروف المناسبة.
3. معرفة العوامل المؤثرة في تلك التغيرات على سلوك الفرد، والتعرف على نمط العلاقة بينهما.
4. تحديد هل تلك المتغيرات عامة يشترك فيها جميع أفراد الجنس البشري أم هي خاصة يشترك فيها بعض الأجناس دون البعض الآخر.
5. تحديد ما إذا كانت تلك التغيرات ايجابية تدفع بالنمو إلى الأمام ولها آثار مرغوبة، أو سلبية تترك آثاراً غير مرغوبة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

6. تحديد معايير للنمو في جوانبه المختلفة.
7. تحديد مطالب هذا النمو في المراحل العمرية المختلفة، حتى يمكن تحقيق النمو المتكامل للفرد.
8. التمهيد لدراسات نفسية أخرى مثلاً في الشخصية أو ميدان الصحة النفسية... وغيرها من الميادين والمجالات.

- **مفهوم التطور والنمو والنضج والتعلم**

اولاً: التطور: سلسلة من التغيرات المتقدمة التي تحدث نتيجة لعاملي النضج والخبرة، كما يتضمن التطور تغيراً نوعياً فهو لا يقتصر فقط على زيادة عدة سنتمترات او غرامات في طول الفرد او وزنه او تحسناً طفيفاً في احدى قدراته انه عملية شديدة التعقيد تسعى للوصول الى حالة من التكامل بين العديد من الابنية والوظائف عند الانسان.

ثانياً: النمو: يشير الى التغيرات الجسمية والفسيولوجية التي تحدث عند الانسان، والتي عادة ما تكون كمية في المراحل الأولى من حياة الانسان بما فيها مرحلة المراهقة، وبشكل تقليدي يحمل مصطلح النمو معنى التغيرات الايجابية التي تحدث عند الانسان، وذلك للتمييز بينها وبين التغيرات التي تحدث في مراحل متأخرة من عمر الانسان، والتي عادة ما تتضمن تراجعاً تدريجياً في اعضاء جسم الانسان وانسجته وحواسه.

ثالثاً: النضج: لا يشترط قيام الفرد بنشاط، يحدث دون إرادة الإنسان، يؤدي إلى ظهور أنماط عامة من السلوك، يرجع السبب في النضج إلى عامل الوراثة.

والنضج هو تغيرات نمائية يمكن ملاحظته. وهو " التغير المفاجئ لمظاهر سلوكية تظهر عند أفراد النوع الواحد دون أثر للتدريب والمران "

مثال: نضج الجهاز العصبي والتشريحي للطفل الذي يمكنه من المشي أو الكلام أو الكتابة و القراءة.

- **أنواع النضج**

أ- النضج العضوي أو الجسمي: درجة نمو أعضاء الجسم بما يمكنها من القيام بوظائف محددة، مثل درجة نمو عضلات اليد والأصابع والجهاز العصبي الذي يمكن الطفل من الكتابة أو الرسم.

ب - النضج العقلي: درجة نمو الوظائف العقلية كالتفكير، الانتباه التي تمكن الفرد من التعلم وحل المشكلات.

ج - النضج الاجتماعي: وصول الفرد إلى درجة من النمو تمكنه من التفاعل الاجتماعي مع أفراد البيئة التي يعيش فيه.

د - النضج الانفعالي: وصول الفرد إلى درجة من النمو تمكنه من التحكم في انفعالاته

وبناء على ما تقدم يمكننا ان نلخص الفرق بين النمو والتطور والنضج في الجوانب الاتية:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

1. التغيرات النمائية تأخذ صورة التحسن والتقدم دائماً، اما التغيرات الناجمة عن عمليات التطور فقد تمثل تقدما نحو الافضل كما هو الحال عند الانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة المراهقة، وقد تأخذ شكل تراجع في الخصائص النمائية كما هو الحال عند الانتقال من مرحلة الرشد الى مرحلة الشيخوخة.

2. تعد التغيرات الناجمة عن النمو حصيلة التفاعل بين عاملي النضج والتعلم، بينما تعد التغيرات الناجمة عن عمليات التطور حصيلة التفاعل بين عوامل النمو والنضج والتعلم.

3. يعد النمو بشكل عام احد جوانب التطور وبذلك يكون التطور اكثر شمولا من النمو.

- **الطرق العلمية لدراسة النمو النفسي**

تتلخص أهم الطرق العلمية لدراسة النمو النفسي في طريقتين رئيسيتين نلخصهما فيما يلي :

1- الطريقة الطولية: تعتبر الطريقة الطولية التبعية من أقدم وأبسط الطرق المستخدمة في ملاحظة وتسجيل ظاهرة النمو النفسي عند الإنسان، وهي تعتمد على ملاحظة أنواع التغير الذي يحدث في سلوك طفل واحد أو مجموعة من الأطفال خلال مراحل نموهم شهرا بعد آخر وسنة بعد أخرى. وبذلك بدأت الدراسة التبعية لحياة الأطفال، كتراجم يكتبها العلماء عن سير أطفالهم.

2- الطريقة المستعرضة: تعتمد هذه الطريقة على دراسة الخواص النفسية لمجموعة أو مجموعات من الأطفال الذين يمثلون عمراً زمنياً واحداً مثل أطفال من السادسة أو أطفال سن السابعة.

وقد استخدم العالم السويسري بياجيت سنة 1973 الطريقة المستعرضة في دراسة بعض الصفات العقلية للأعمار الزمنية المتتابعة، وتعد دراساته الأولى عن التعلم اللغوي وتطوره من سن إلى أخرى. ودراسة كذلك عن نمو المفهوم العددي عند الأطفال نماذج علمية واضحة لأصالة الطريقة المستعرضة في دراسة المظاهر النفسية للنمو.

وتهدف هذه الطريقة إلى الكشف عن مظاهر النمو في كل مرحلة من مراحل الحياة عن طريق وسائل علمية حديثة ثم تصل من ذلك كله إلى الكشف عن التغيرات التي تطرأ على كل مظهر من مظاهر النمو النفسي خلال مراحل الحياة، أي إلى معرفة منحنى النمو الذي تخضع له كل ظاهرة من ظواهر النمو في زيادتها ونقصانها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner